

تفسير البحر المحيط

@ 147 خلق يكون بمعنى جعل فيتعدى لاثنين ، فلا أعلم أحداً ممن له معرفة ذهب إلى ذلك . والباطل : الزائل الذاهب ومنه : .

ألا كل شيء ما خلا □ باطل .

والأحسن من أعاريبه انتصابه على الحال من هذا ، وهي حال لا يستغنى عنها نحو قوله : { وَمَا خَلَقْنَا * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ * وَمَا بَيَّنَّا لَهُمَآ لَاعِبِينَ } لا يجوز في هذه الحال أن تحذف لئلا يكون المعنى على النفي ، وهو لا يجوز . .

ولما تضمنت هذه الجملة الإقرار بأن هذا الخلق البديع لم يكن باطلاً ، والتنبيه على أن هذا كلام أولي الألباب الذاكرين □ على جميع أحوالهم والمتفكرين في الخلق ، دلّ على أن غيرهم من أهل الغفلة والجهالة يذهبون إلى خلاف هذه المقالة ، فنزهوه تعالى عن ما يقول أولئك المبطلون مَن ما أشار إليه تعالى في قوله : لاعبين ، وفي قوله : { أَفَوَجَّسِبْتُمْ أَنْزَمَآ خَلَقْنَاكُمْ * عَبَثًا } واعترض بهذا التنزيه المتضمن براءة □ من جميع النقائص وأفعال المحدثين . بين ذلك الإقرار وبين رغبتهم إلى ربهم بأن يقيهم عذاب النار ، ولم يكن لهم همّ في شيء من أحوال الدنيا ، ولا اكتراث بها ، إنما تضرّعوا في سؤال وقيامتهم العذاب يوم القيامة . وهذا السؤال هو نتيجة الذكر والفكر والإقرار والتنزيه . والفاء في : فقنا للعطف ، وترتيب السؤال على الإقرار المذكور . وقيل : لترتيب السؤال على ما تضمنه سبحانه من الفعل ، أي : نزهناك عما يقول الجاهلون فقنا . وأبعد من ذهب إلى أنه لترتيب على ما تضمن النداء . .

{ رَبَّيَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ } هذه استجارة واستعادة . أي : فلا تفعل بنا ذلك ، ولا تجعلنا ممن يعمل بعملها . ومعنى أخزيتته : فضحته . من خزي الرجل يخزي خزياً ، إذا افتضح . وخزاية إذا استحيا الفعل واحد واختلف في المصدر فمن الافتضاح خزي ، ومن الاستحياء خزاية . ومن ذلك { وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي } أي لا تفضحون . وقيل : المعنى أهنته . وقال المفضل : أهلكته . ويقال : خزيتته وأخزيتته ثلاثياً ورباعياً ، والرباعي أكثر وأفصح . وقال الزجاج : المخزي في اللغة هو المذل المحقور بأمر قد لزمه ، يقال : أخزيتته ألزمته حجة أدلته معها . وقال أنس وسعيد ، وقتادة ، ومقاتل ، وابن جريح ، وغيرهم : هي إشارة إلى من يخلد في النار ، أما من يخرج منها بالشفاعة والإيمان فليس بمخزي . وقال جابر بن عبد □ وغيره : كل من دخل النار فهو مخزي وإن خرج منها ، وإنّ في دون ذلك لخزياً ، واختاره ابن جريح وأبو سليمان الدمشقي .

{ وَ مَا لِّلظَّالِمِينَ مِنْ أَوْصِيَاءٍ } هو من قول الداعين . وقال ابن عباس :
الظالمون هنا هم الكافرون ، وهو قول جمهور المفسرين . وقد صرح به في قوله : {
وَ الْكَاْفِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } وقوله : { إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }
ويناسب هذا التفسير أن يكون ما قبله فيمن يخلد في النار ، لأن نفي الناصر إما بمنع أو
شفاعة مختص بالكفار ، وأما المؤمن فإما ناصره والرسول صلى الله عليه وسلم (شافعه ، وبعض
المؤمنين يشفع لبعض كما ورد في الحديث . وقال الزمخشري : وما للظالمين اللام إشارة إلى
من يدخل النار ، وإعلام بأن من يدخل النار ، فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها انتهى . وهو
على طريقة الاعتزال أن من يدخل النار لا يخرج منها أبداً ، سواء كان كافراً أم فاسقاً
، ومن مفعوله لفعل الشرط . وحكى بعض المعربين ما نصه ، وأجاز قوم أن يكون من منصوباً
بفعل دل عليه جواب الشرط وهو : فقد أخزيت . وأجاز آخرون أن يكون من مبتدأ ، والشرط
وجوابه الخير انتهى . أما القول الأول فصادر عن جاهل بعلم النحو ، وأما الثاني فأعراب
من مبتدأ في غاية الضعف . وأما إدخاله جواب الشرط في الخبر مع فعل الشرط فجهالة . ومن
أعظم وزراً ممن تكلم في كتاب الله بغير علم . .

{ رَبِّ زَنَا إِنْ زَنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا
بِرَبِّكُمْ فَذَامَنَّا } سمع إن دخل على